كلمة:

حضرة صاحب الجلالة

الملك فهد بن عبدالعزيز ال سعود

في حفل افتتاح المؤتمر

مساء يوم الاحد ١٩ - ٢٣/٣/١٤٠٦هـ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

أيها الاخوة العلماء والباحثون .. أيها الاخوة الحاضرون في هذا المؤتمر التاريخي العالمي، احييكم جميعا تحية الإسلام، واشكر جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية التى نظَّمت هذا المؤتمر بالتعاون مع اتحاد المؤرخين العرب والجامعات السعودية. كما أشكر كل القائمين على تنظيم هذا المؤتمر على ما أتاحوه لي من فرصة أخوية كريمة أتحدث فيها باقتضاب عن تاريخ موحد هذه البلاد ومؤسِّس نهضتها وباني دعائمها الملك عبدالعزيز رحمه الله وأسبغ عليه الرضوان.

إننى لا أتحدث اليكم من منطلق عاطفي تؤثِّر فيه علاقة الابوة أو يوحي به أي نوع من أنواع الأنفعال العابر، بل أتحدث في مؤتمر علمي ومن منطلق تاريخي مُجَرَّدٍ يتاثر فقط بالوقائع كما وقعت وبالافعال كما حدثت وبالحقائق المجردة كما شُوْهِدَتْ وهذا هو الاساس الذي يجب أن يُبنَى عليه تدوين التاريخ لأنه أمانة تنتقل من عصر الى عصر ومن جيل الى جيل ومن انسان الى اخر وناهيكَ بحمل هذه الامانة وثقلها.

إننا حين نبحث في تاريخ الملك عبد العزيز ينبغي ان نذكر بامانة العالم وصدق المؤرخ تصميمه رحمه الله فى صبَاه على جمع الشمل ووحدة الكلمة لهذا البلد العزيز الذي كان يتلهف للوحدة ويعيشها بوجدانه واماله وأحاسيسه بعد أن رأى، في وقت من الأوقات، أن شمله كانَ يتفرق وصفوفه تتمزق وأمنه يتزعزع وحياته قد حُفَّتْ بالخوف والاضطراب فتأكد له أن الوحدة قد أصبحت ضرورة قصوى لوجوده كما تأكد له أن الأمن والاستقرار أساس في استمراره وعزته.

وفي ذلك الوقت كان الملك عبد العزيز رحمه الله يعيش هذه المشاعر بكل أحاسيسه وآماله حتى تجسًدت أمامه في صورة الواجب الذي ينبغي أن يقوم به وفاء لهذه البلاد وأهلها فيما اَمْحَضُوهُ له من صدق الدعوة وصفاء العلاقة واْخلاص المحبة كما تجسًدت أمامه في صُوَرِ الامتداد لتاريخ عريق توحدت فيه القلوب والآمال واجمعت فيه الأراء على نصرة العقيدة وعزتها امتثالا لقول الباري جل وعلا (يأيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويُثَبِّتْ اقدامكم)

وامتثالا لقوله تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يَرِثُهَا عبادي الصالحون ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين).

ان الملك عبدالعزيز حين نَفَّذَ واجبه في اعادة وحدة هذه البلاد واعادة مجدها المبني على دعائم الإسلام الخالد، لم يكن يبتغي فى

ذلك سلطة أو سيادة دنيوية عارضة أو الحصول على جاه أو أي عَرَض من أعراض الدنيا، بل كان يستشعر في مسعاه واجبا دينيا وخُلُقيًا كان يُمَثِّلهُ سلوكه الشخصي منذ نعومة أظفاره في طهارته وورعه وتقاه فقد كان رحمه الله قوي الصلة بالله عز وجل لا ينام الليل الا قليله وكان يقضي اكثره راكعا أو ساجدا يطلب العون والنصر من الله في كل أمر من أموره وكان يؤمن ايمانا مطلقا بأنه لا يتوفر للعقيدة عز وانتشار وخلود إلا في ظل كيان آمن ومطمئن يقوم على رعايتها وتبليغها والدعوة إليها والدفاع عنها.

لقد عَرَّفَ نفسه رحمه الله في احدى خطبه الجامعة قائلا ....
انني أعمل جهد الطاقة في سبيل اعلاء كلمة الدين وإحلال عقيدة السلف الصالح لذلك فانني مُبَشِّرٌ ادعو لدين الإسلام ونشره.

واني داعية أدعو لعقيدة السلف الصالح وهي التمسك بكتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وماجاء عن الخلفاء الراشدين.. كما عَرَّفَ نفسه رحمه الله قائلا ...
إنني مسلم أحب جمع كلمة الإسلام والمسلمين وليس أحب عندي من أن تجتمع كلمة المسلمين ويتحد شملهم ويعلو شانهم.

ومن هذا المنطلق يشهد التاريخ أن تطبيق الشريعة الإسلامية كان مبدأ أساسيا في حياته رحمه الله وكانت كلمة « شرع الله » تَهُزُّه عندما يطلبها خصمٌ من خصمٍ أو يقولها شاكٍ في شكواه أو يَطْرَحُها

أي شخص للاحتكام في أمر من الأمور وبذلك عرفت هذه البلاد تحكيم الشريعة الإسلامية الخالدة في الدقيق والجليل وأصبحت مثالا صادقا في استتباب الأمن والاستقرار فَأَمِنَ الإنسان على نفسه وماله وعرضه وأصبح المواطنون وغَيرُهُمْ سواسية أمام شرع الله وحكمه.فالقوي هو الضعيف حتى يُؤْخَذَ الحق منه والضعيف هو القوى حتى يُؤْخَذَ الحق له وصاحب الحق هو القوي دائما ومغتصب الحق هو الضعيف مهما كان مركزه ومكانه.

وبهذه النية الصادقة والالتزام المطلق بمنهاج الشريعة نظرية وتطبيقا، توحدت المشاعر وسادت الطمأنينة وتحققت آمال هذه البلاد في كيان حقيقي صُلْب قام على وحدة القلوب والمشاعر بكل ما تحمله هذه الكلمة من قِيَمٍ ومعاني.

أيها الاخوة العلماء والباحثون.. أيها الحاضرون جميعا ـ لن أتحدث عن اصلاحاته رحمه الله في الحرمين الشريفين وتأمين راحة الحجاج وسلامتهم وَتَحسُّس مشاعرهم منذ قدومهم حتى عودتهم الى بلادهم.

ولن اتحدث عن الأعمال التى تمت في عهده في كافة المشاعر المقدسة فهى أكثر من ان تُحْصَرَ واشْهَرَ من أن تذكر في عجالة كهذه ولكن التاريخ قد وضعها في سجله أبد الآبدين.

إن تاريخ الملك عبدالعزيز رحمه الله لم يكن تاريخ توحيد وتأسيس كيان كبير فحسب، بل كان تاريخ عطاء وبناء تنمية على أسُسٍ علمية ومنهجية فنية تؤمن بالعلم، كما تؤمن بالايمان، وتنطلق من الاهتمام بالانسان والعناية به باعتباره العمود الْفَقَري للتنمية والعطاء فرغم ضآلة الدخل وضعف الاقتصاد العالمي وآثاره وإنعكاساته على المملكة في ذلك الوقت، إلا إن التعليم كان في أول اهتمامات الملك عبدالعزيز حيث جعل له غاية واحدة تجسَّدت في الالتزام بتعاليم الشريعة سلوكا ومنهاجا كما تجسَّدت في الاهتمام بالإنسان خُلُقياً ودنيويا ابتغاء دفعه بطريقة واعية وحكيمة الى تصور آثار التعليم وإيجابياته ومن ثَّمَ الإقبال الذاتي عليه. ومنذ ما يقرب من الستين سنة حضر رحمه الله تخرج دفعة من طلبة أحد المعاهد العلمية فخاطبهم بوجدان الأب وحنانه قائلا ... إنهم أوَّلَ ثمرة من الغرس الذى غرسه وأن عليهم ان يعرفوا قدر ما تلقوه من العلم وان يعلموا ان العلم بلا عمل كالشجر بلا ثمر، وإن العلم كما يكون عونا لصاحبه يكون عليه، وان من عمل به يكون عونا له ومن لم يعمل به يكن عونا عليه وليس من يعلم كمن لا يعلم وقليل من العلم يبارك فيه خيرٌ من كثير لا يبارك فيه والبركة في العمل ... ثم قال رحمه الله مخاطبا تلك الغرسة الصاعدة...

لقد بُعثَ صفوة الخلق محمد صلى الله عليه وسلم من العرب ونزل عليه أمين السماء في بلاد العرب بقرآن عربي غير ذي عوج فلنعرف قَدْرَ ذلك ولنحتفظ بديننا ولغتنا وبلادنا ونحبها حبا جما..

لقد كانت هذه الكلمات وتلك الغرسات انطلاقة كبيرة ومنهاجا علميا وركيزة اساسية لمئات الألوف من أبنائنا وبناتنا الذين يتسابقون اليوم الى عشرات الجامعات والكليات وآلاف المدارس والمعاهد الفنية في هذه البلاد.

ومن منطلق التعليم إلى منطلق الزراعة وتَصوُّر الأمن الغذائي وتعويد الانسان على انتاج حاجاته بجهده وعطائه كان الملك عبدالعزيز رحمه الله يدرك هذه الحقائق من منظور بعيد يَعْمِدُ الى تحويل الفرد تدريجيا إلى الاهتمام بالزراعة كملجأ للأمن الغذائي في أوقات الأزمات فرغم ضعف الاقتصاد وقلة الدخل كما اشرت الى ذلك آنفا، ورغم الحاجة الماسة إلى تنويع مصادر الدخل من رسوم وضرائب، إلا انه رحمه الله أصَرَّ على اعفاء الالات الزراعية المستوردة من أي رسوم أو ضرائب وأمر باقراض المزراعين وانشاء القرى الزراعية لتوطين البادية وتدريب المزارعين على استخدام الالات الزراعية الحديثة.

وإذا كنا نعيش اليوم فكرة (الأمن الغذائي) التى اصبحت الهاجس المهم للانسان المعاصر، فإن التاريخ يشهد ان الملك عبدالعزيز كان يتصور هذه الفكرة ويعيشها بخياله منذ زمن بعيد ولم يكن اكتفاء المملكة في هذه الأيام من انتاج القمح وتصديره وتطور الزراعه فيها الى الحد الكبير إلا نتيجة طبيعية لسياسته رحمه الله في هذا الميدان.

لا مانع من ان نأخذ من غيرنا المفيد فالحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجَدَهـا وقد كان للعرب في جاهليتهم خصال حميدة وكان لغيرهم ايضا فجاء الإسلام فأقرَّهَا وبعث صفوة الخلق محمد صلى الله عليه وسلم ليجدد مكارم الأخلاق. وقال: وُلِدْتُ في زمن الملك العادل... حافظوا على تعاليم دينكم وأقول لكم والله ثم والله ثم والله ما حرمت الشريعة شيئا فيه نفعنا ولا أحلت شيئا فيه ضرنا وإن النظرة السليمة لتدرك ذلك.

وفي مجـال الاهتمـام بالإنسـان ورعـايتـه تبـدو صورة الملك عبدالعزيز مشرقة في تاريخ العلاقات المحلية فلم تكن هناك علاقة بين حاكم ومحكوم، أو رئيس ومرؤوس، أو بين متبوع وتابع بل كانت علاقة أبُوَّةٍ واخوة ومحبة تجسَّدت في صُوَرِ اللقاء الشخصي المباشر بدون وسـائـط أو حُجُبٍ كما تجسَّدت في صُوَرِ الاتصال الدائم في مختلف الامكنة والأوقات في بساطة كانت تستمد طابعها واسلوبها من نهج أسلافنا المسلمين الصالحين. فقد أمر رحمه الله كافة رجال الدولة بأن تكون أبوابهم مفتوحة دائماً مؤكداً عليهم بأنه يرغب أن يكون الاتصال بالمواطنين وثيقاً لأن ذلك ادعى لتنفيذ رغباتهم.. كما أكـد رحمـه الله بأن مجلسـه سيكـون مفتـوحاً لحضور من يريد الحضور قائلاً بالحرف الواحد... يعلم الله أن كل جارحة من جوارح هذا الشعب تؤلمني وكل شعرة منه يَمَسُّهَا أذى تؤذيني.

ومن هذا المنـطلق كان يعـامـل رحمه الله كل فرد في هذه البلاد معاملة فريدة من نوعها في التاريخ الحديث بغض النظر عن مركز

هذا الفرد ومكانته حتى الذين خالفوه وعارضوه كان يعطف عليهم ويسأل عن أحوالهم ويتفقد أُسَرَهُمْ ويتجاوز عن أخطائهم منتهجاً في ذلك نهج الأبرار الصالحين في العفو عند المقدرة، والتعامل بالإحسان، والتجاوز عن الإساءة، ونبذ الضغينة وأسلوب الانتقام وترك المخالف والمعارض يدرك أخطاءه بنفسه. وكان لهذه الصفات الفريدة أثرها الكبير في تحول مخالفيه ومعارضيه إلى تأييده والصدق في محبته، والإحلاص له على نحو يعجز عنه الوصف وتصعب مقارنته بما يحدث في تاريخ العلاقات المحلية الحديث.

ومن هذا الشعور المفعم بالحب كان الاهتمام بالإنسان في صحته بتوفير المستشفيات وتيسير العناية الصحية له وتهيئة الأساليب اللازمه لرعايته صحياً في إقامته وسفره وفي حجه. وإذا كانت البداية في هذا المجال تتناسب مع الواقع والقدرة في ذلك الوقت، فان المهم هو الثَّوَابِتُ والدلالات الإجتماعية والإنسانية لهذه السياسة منذ عشرات السنين.

أيها الإخوة العلماء والباحثون.. أيها الإخوة الحاضرون جميعا. أمَّا تاريخ الملك عبدالعزيز في مجال السياسة الخارجية بأبعادها الإسلامية والعربية والدولية، فإن التاريخ سيظل شاهداً أميناً على أنه رحمه الله قد انتهج سياسة إسلامية حكيمة ذات أبعاد عميقة لا سيما في وقت كان المجتمع الدولي مسرحا للاضطراب والتَّغَيُّراتِ المتلاحقة بعد ان انهكته حربان عالميتان واثَّرَتْ في سلوكه

وتوجهاته... لقد كانت السياسة بالنسبة له رحمه الله ثوابت تقوم على المبادىء والأخلاق وتلتزم التزاما مطلقا بالمنهاج الإسلامي إطاراً وسلوكاً... قولاً وعملاً كما تلتزم التزاماً مطلقاً بالحِفاظ على المقدسات الإسلامية وإعتبار عقيدة المملكة وكرامتها وأمنها ومصالحها فوق كل إعتبار والحِفاظ المطلق على حقوق العرب والمسلمين وتَغْلِيْب هذه الحقوق وَتَعهُّدهَا ورعايتها بالحكمة والتشاور مع إخوانه زعماء العرب والمسلمين والاهتمام كذلك بالسعي إلى ترسيخ دعائم السلم والأمن الدوليين.

وفى مجال العلاقات الإسلامية، وعندما كانت بعض البلاد الإسلامية تقع تحت الوصايه الأجنبية يشهد التاريخ أنه رحمه الله قد طالب بإصرار بأن تحترم الدول العالمية تعهداتها تجاه تلك البلاد، وأن تحافظ على حقوق الأقليات المسلمة التى تعيش بينها قائلًا بالحرف الواحد... إن لنا في الديار النائية اخواناً من المسلمين والعرب نطلب مراعاتهم وحفظ حقوقهم، فإن المسلم أخو المسلم يَحِنُّ عليه كما يَحِنُّ على نفسه في أي مكان كان... كما طالب رحمه الله بأن يجتمع المسلمون على أمر جامع لهم وما بشيىء يجمعهم من غير اختلاف إلا التمسك بكلمة التوحيد تمسكاً صادقاً على علم وبصيرة.

وفي المجال العربي شهد التاريخ أن قضية فلسطين قضية العرب والمسلمين الأولى كانت الشغل الشاغل له رحمه الله عندما تكالبت القوى العالمية في ذلك الوقت على شعب فلسطين. وقد كانت أطول

الرسائل التى تبادلها رحمه الله مع زعماء العالم هي الرسائل التى تبادلها مع الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت بشأن قضية فلسطين موضحاً له.. أنه إذا نظر إلى القضية من وجهة الصهيونية السياسية، فإن هذه الوجهة تمثل ناحية ظالمة غاشمة سَدَاهَا القضاء على شعب آمن مطمئن وطرده من بلاده بشتى الوسائل ولُحْمَتُها النهم السياسي والطمع الشخصى للصهيونية وموكداً له بكل اصرار... أن حقوق العرب في فلسطين لا تقبل المجادلة لأن فلسطين بلادهم منذ أقدم الأزمنة ولم يَخْرُجُوا منها كما ان غيرهم لم يُخْرِجْهُم منها طيلة وجودهم العريق فيها وكانت من الأمكنة التى ازدهرت فيها المدنية العربية ازدهاراً يدعو إلى الاعجاب ولذلك فهي عربية موقعاً وعرفاً ولساناً وثقافةً وتاريخاً وانه ليس في ذلك أى شبهة أو غموض وان تاريخ العرب في تلك البلاد مملوء بأحكام العدل والأعمال النافعة.

أيها الأخوة العلماء والباحثون والحاضرون جميعا.

لقد انتقل الملك عبدالعزيز رحمه الله إلى جوار ربه منذ أكثر من ثلاثين سنة راضياً مرضياً تاركاً وراءه هذا الكنز الكبير من الخصائص والصفات والأعمال الرائعة التى يَمُنُّ الله بها على من يشاء من عباده.

وإني أؤكد أن من نعم الله على هذه البلاد وحسن حظها أن حاضرها المشرق موصول بماضيها العريق، وأن ما تشهده هذه

البلاد من تحكيم شرع الله ومن تنمية متتابعة ومتواصلة في مجال التعليم والتدريب والزراعة والصناعة والرقي بالإنسان والسير به على المنهاج الإسلامي، إنما هو امتداد أصيل لنَهجِ الملك عبدالعزيز رحمه الله وطريقته الفذة في العدل والإنصاف وتحكيم شرع الله... وكما تمسكنا بهذا المنهاج في حاضرنا، فاننا سنظل بإذن الله جل وعلا متمسكين به حتى يَرِثَ الله الأرض ومن عليها.

أيها الأخوة العلماء والباحثون والحاضرون جميعا إن ما ذكرته عن الملك عبدالعزيز رحمه الله قليل من كثير بل هو بمقاييس التاريخ حرف واحد من سجل طويل مفعم بالأخلاق والمبادىء والثوابت وإني واثق بأنكم أمناء على التاريخ وسوف تُسَجِّلُونَ بكل أمانة لأجيالنا العربية والإسلامية تاريخ أسلافهم وقادتهم الصالحين ليكونوا قدوة لهم في حاضر نشهده وفي مستقبل مشرق نتصوره مليىء بإذن الله بالانتصارات والخلود لعقيدتنا وأُمتنا المجيده.

وفقكم الله وسدد خطاكم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...